وما تأخر الآية وبما للمؤمنين في الآية الأخرى بعدها قاله ابن عباس ومقصد الآية
أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب أن لو كان قال بعضهم المغفرة ها هنا
تبرئة من العيوب وأما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك فقيل
ما سلف من ذنبك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل
معناه أنه حفظ قبل نبوته منها وعصم ولولا ذلك لأثقلت ظهرك حكى
معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردي والسلمي وقيل حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية حكاه مكي
وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك حكى
معناه القشيري وقيل معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت
وحفظ عليك ومعنى أنقض أي كاد ينقضه فيكون المعنى على من جعل ذلك لما
قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بأمور فعلها قبل نبوته وحرمت عليه
بعد النبوة فعدها أوزارا وثقلت عليه وأشفق منها أو يكون الوضع عصمة
الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة
أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية وإعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه
من وحيه وأما قوله عفا الله عنك لم أذنت لهم فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم
فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى عليه معصية بل لم يعده أهل
العلم معاتبة وغلطوا من ذهب إلى ذلك قال نفطويه وقد حاشاه الله من
ذلك بل كان مخيرا في أمرين قالوا وقد كان له أن يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه
فيه وحي فكيف وقد قال الله له فأذن لمن شئت منهم فلما أذن لهم أعلمه
الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا وأنه لا حرج عليه
فيما فعل وليس عفا ها هنا بمعنى غفر بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم
عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه
للقشيري قال وإنما يقول العفو لا يكون إلا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب
قال ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنبا قال الداودي روي أنها تكرمة قال

مكي

١٤٨

مكي هو استفتاح كلام مثل أصلحك الله وأعزك وحكى السمرقندي أن معناه
عافاك الله وأما قوله في أسارى بدر ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن
فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين
سائر الأنبياء فكأنه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام أحلت لي الغنائم ولم
تحل لنبي قبلي فإن قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعني بالخطاب
لمن أراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها و
ليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية أصحابه بل قد روي عن
الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب
وجمع الغنائم عن القتال حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو ثم قال لولا كتاب
من الله سبق واختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا أنه سبق مني
أن لا أعذب أحدا إلا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية
وقيل المعنى لولا إيمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح
لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيرا وبيانا بأن يقال لولا ما كنتم مؤمنين
بالقرآن وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى وقيل
لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي الذنب
والمعصية لأن من فعل ما أحل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا
وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل
عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى إن
شاؤوا القتل وإن شاؤوا الفداء على أن يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء
ويقتل منا وهذا دليل على صحة ما قلناه وأنهم لم يفعلوا إلا ما أذن لهم فيه لكن
بعضهم مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل
فعوتبوا على ذلك وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم
غير عصاة ولا مذنبين وإلى نحو هذا أشار الطبري وقوله عليه السلام في
هذه القضية لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر إشارة إلى هذا من

القضة

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)